ما هو الثالوث؟

تمدَّنا كُتيِّبات "**أسئلة مصيريَّة**" بمقدمة مُوجزة لبعض الحقائق المسيحيَّة المُحدَّدة. تشمل هذه المجموعة الكبيرة كُتيِّبات مثل:

هل هذه هي الأيام الأخيرة؟

هل يتحكَّم الله في كل شيء؟

كيف يَسْري عليَّ ناموس الله؟

هل يمكنني معرفة مشيئة الله؟

ماذا أفعل بذنبي؟

ما هي الحكمة الكتابيَّة؟

هل يمكنني الحصول على الفرح في حياتي؟

ما هي العلاقة بين الكنيسة والدولة؟

هل تغيِّر الصلاة شيئًا؟

كيف يجب أن أعيش في هذا العالم؟

هل يمكنني أن أتأكَّد من خلاصي؟

كيف ينبغي أن أفكّر في المال؟

من هو يسوع؟

ما هو الثالوث؟

أسئلة مصيريَّة

أر. سي. سبرول

© 2011 by R.C. Sproul.
Originally Published by Reformation Trust Publishing (a division of Ligonier Ministries), under the title *What Is the Trinity?* Translated by permission. All rights reserved.
ISBN: 978-1-64289-045-7

اسم الكتاب: ما هو الثالوث؟
المؤلف: أر. سي. سبرول
© 2022 خدمات ليجونير
الناشر: خدمة ذهن جديد
www.zehngadid.org
مسؤول الخدمة والمشرف على الترجمة: الدكتور/ ياسر فرح
المطبعة: سان مارك
رقم الإيداع: 2022/9577
الترقيم الدولي: 978-977-94-1648-9

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة. يُمنع إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب، دون إذن خطي مسبق من الناشر، كما يُمنع تخزينه بأي شكل يسمح باسترجاعه وإعادة استعماله. ويُمنع نقله بأي شكل من الأشكال وبأيَّة وسيلة، سواء كانت إلكترونيَّة، آليَّة، بالاستنساخ الفوتوغرافي أو بالتسجيل الصوتي وخلافه. ويُستثنى من هذا حصريًا الاقتباسات القصيرة الموضوعة بين هلالين مع ذكر مصدر الاقتباس بالتوثيق العلمي.

اقتباسات النصوص الكتابيَّة مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

Printed in Egypt

المحتويات

الفصل الأول: التوحيد ٧

الفصل الثاني: شهادة الكتاب المُقدَّس ٢٣

الفصل الثالث: جدالات في الكنيسة الأولى ٤١

الفصل الرابع: واحد في الجوهر، وثلاثة أقانيم ٦٥

الفصل الخامس: اعتراضات على عقيدة الثالوث ٧٩

الفصل الأول

التوحيد

ظهر مفهوم الثالوث كمعيار للحقِّ، كبند غير قابل للتفاوض من بنود الفكر المسيحي القويم. ولكنه كان مصدرًا للنزاع طوال تاريخ الكنيسة، ولا زال هناك الكثير من التشويش بشأنه إلى هذا اليوم، مع وجود كثيرين ممَّن يسيئون فهمه من نواحٍ خطيرة جدًّا.

يعتقد البعض أن عقيدة الثالوث تعني أن المسيحيِّين يؤمنون بثلاثة آلهة. هذه هي فكرة الثالوثيَّة (tritheism)، والتي رفضتها الكنيسة بشكلٍ قاطع طوال تاريخها.

بينما يرى آخرون أن الثالوث يوقع الكنيسة في تناقض. على سبيل المثال، تحاورتُ ذات مرة مع رجل حائز على شهادة دكتوراه في الفلسفة، وكان يعترض على المسيحيَّة بناءً على أن عقيدة الثالوث تمثِّل تناقضًا جليًّا في قلب الإيمان المسيحي، لأنها تقول إن الله ثلاثة وواحد. يبدو أن هذا الأستاذ في الفلسفة لم يكن يعرف قانون عدم التناقض. ينصُّ قانون عدم التناقض على أن الشيء لا يمكن أن يتَّصف بصفة ونقيضها في الآن ذاته، وداخل العلاقة نفسها. عندما نعترف بإيماننا بالثالوث، فإننا نؤكِّد أن الله واحد في الجوهر وثلاثة في الأقنوم. وهكذا، الله واحد في أ وثلاثة في ب. لو قلنا إنه واحد في جوهره وثلاثة في جوهره، لأصبح ذلك تناقضًا. لو قلنا إنه واحد في الأقنوم وثلاثة في الأقنوم لأصبح ذلك تناقضًا. ولكن بقدر ما يُعتبر الثالوث سرًّا غامضًا، ربما يفوق ويتخطَّى قدرتنا

علـى فهمـه بالتمـام، فـإن الصيغـة التاريخيَّة لعقيـدة الثالوث ليسـت متناقضة.

قبـل أن نتحـدَّث عـن الثالـوث، ينبغـي أن نتحـدَّث عـن الوحـدة، لأن كلمـة *Trinity*، أي ثالـوث، تعنـي «الوحـدة الثالوثيَّـة». وراء مفهـوم الوحـدة يكمـن التشـديد الكتابـي علـى الإيمـان بإلـه واحـد، أي علـى التوحيـد (monotheism). البادئـة *mono* تعنـي واحـدًا أو منفـردًا، بينمـا الجـذر *theism* يعنـي المتعلِّـق بالله. وهكـذا فالوحدانيَّة تعبِّـر عـن فكـرة وجـود إلـه واحـد فقـط.

تطوُّر الديانات

فـي القـرن التاسـع عشـر، ثـار التسـاؤل فـي العالـم الدينـي والفلسـفي حـول فكـرة كـون الكتـاب المُقـدَّس ثابتًـا علـى مبـدأ الإيمـان بإله واحـد. كان واحد من أكثر الفلاسـفة البارزيـن فـي القـرن التاسـع عشـر هـو فريدريـك هيجـل

(Friedrich Hegel). وقد طوَّر هيجل فلسفة التاريخ، وهي فلسفة تاريخ معقَّدة جدًّا ومتضاربة يكمن في صميمها مفهوم التطوُّر التاريخي أو الارتقاء. في القرن التاسع عشر، كان المفكِّرون منشغلين بمفهوم التطوُّر، ليس فقط فيما يتعلَّق بعلم الأحياء، لكن أصبح التطوُّر تقريبًا كلمة طنَّانة في العالم الأكاديمي وفي المجتمع العلمي، ولم يتم تطبيقها فقط على تطوُّر الكائنات الحيَّة، بل وكذلك على المؤسَّسات السياسيَّة. على سبيل المثال، فهمت ما تُسمَّى بالداروينيَّة الاجتماعيَّة التاريخ البشري على أنه تقدُّم الحضارات.

طبَّق أتباع هيجل أيضًا هذه الأفكار على تطوُّر المفاهيم الدينيَّة. وقد عملوا على ضوء الافتراض الآتي: مثلما هي الحال في جميع مجالات الخلق، هكذا أيضًا تتبع الأديان نمط التطوُّر الذي نراه في العالم البيولوجي،

وهو التطوُّر من البسيط إلى المعقَّد. في حالة الأديان، يعني هذا أن جميع الأديان المتقدِّمة تطوَّرت من الشكل البسيط لحيويَّة المادة. يشير مصطلح «حيويَّة المادة» إلى فكرة وجود نفوسٍ حيَّة، أو أرواح، أو شخصيَّات حيَّة فيما نعتبره عادةً أجسامًا جامدة أو غير حيَّة، مثل الصخور والأشجار وأعمدة الطوطم والأصنام وما إلى ذلك.

يبدو أن فكرة أن الدين البدائي بدأ من مذهب حيويَّة المادة قد أكَّدها العلماء الذين درسوا الثقافات البدائيَّة التي ظلَّت باقية حتى الوقت الحاضر. وجد العلماء الذين ذهبوا إلى المناطق النائية من العالم ودرسوا أديان هذه الثقافات أنها تحتوي على عناصر قويَّة من مذهب حيويَّة المادة. لذلك، تم قبول الافتراض بأن جميع الأديان تبدأ من مذهب حيويَّة المادة وتتطوَّر تدريجيًّا.

يعتقد بعض العلماء أنه يمكن العثور على هذه الفكرة في الصفحات الأولى من العهد القديم. غالبًا ما يستشهدون برواية السقوط، لأن آدم وحوَّاء قد تعرَّضا لإغراء حيَّة اتَّخذت صفات شخصيَّة (تكوين ٣). فقد أمكنها التفكير والتحدُّث والتصرُّف بحسب إرادتها. كما أشار النقَّاد إلى تجربة بلعام، الذي تمكَّن حماره من الكلام (عدد ٢٢). قالوا إن هذا يُظهِر أن كُتَّاب الكتاب المُقدَّس يؤمنون بوجود روح في الحمار، تمامًا كما لو كانت هناك روح في الحيَّة. عندما كنت في كليَّة اللاهوت، سمعت أستاذًا يتحدَّث عن وجود دليل على مذهب حيويَّة المادة في اختبار إبراهيم عند التقائه بالملائكة عند بلُّوطات ممرا (تكوين ١٨). قال الأستاذ إن إبراهيم كان حقًّا يتحدَّث مع الآلهة الموجودة في الأشجار. ولكن لا يوجد

أي دليل في النص على أن إبراهيم كان منخرطًا في أي نوع من الإيمان بمذهب حيويَّة المادة.

يقول أولئك الذين يتمسَّكون بالنظرة التطوريَّة للدين إن الخطوة التالية في العمليَّة هي تعدُّد الآلهة: الكثير من الآلهة. كان تعدُّد الآلهة شائعًا في ثقافات العصور القديمة. كان للديانة اليونانيَّة، والدين الروماني، والدين الإسكندنافي، والعديد من الديانات الأخرى، إله أو إلهة لكل وظيفة بشريَّة تقريبًا؛ إله للخصوبة وإله للحكمة وإله للجمال وإله للحرب، وما إلى ذلك. نحن جميعًا على دراية بهذه الفكرة من دراساتنا لأساطير العالم القديم. ببساطة، اعتقد الناس بوجود العديد من الآلهة لخدمة الوظائف المختلفة في الحياة البشريَّة.

والمرحلة التالية من التطوُّر الديني بعد تعدُّد الآلهة تُسمَّى الهينوثيَّة (henotheism)، وهي نوع من الخليط

بين تعدُّد الآلهة والتوحيد، وهي مرحلة انتقاليَّة، إذا جاز التعبير. الهينوثيَّة هي الإيمان بإله واحد (تأتي البادئة *hen* من كلمة يونانيَّة تعني «واحدًا»، وهي كلمة مختلفة عن *mono*)، ولكن الفكرة هي أن هناك إلهًا واحدًا لكل شعب أو أُمَّة، وكل واحد يسود على منطقة جغرافيَّة معيَّنة. على سبيل المثال، تقول الهينوثيَّة إنه يوجد إله للشعب اليهودي (يهوه)، وإله للفلسطينيِّين (داجون)، وإله للكنعانيِّين (بعل)، وما إلى ذلك. ولكن هذا الرأي لا يفترض وجود إله واحد فقط في نهاية المطاف.

أدركت الشعوب الهينوثيَّة أن الأمم الأخرى لها آلهتها الخاصة، وغالبًا ما رأوا المعارك بين الأمم على أنها معارك بين آلهة الشعوب. يجد بعض العلماء هذه الفكرة في العهد القديم لأن العديد من النزاعات المُسجَّلة تم تصويرها على أنها صراع بين إله إسرائيل وداجون

أو البعل أو إله وثني آخر، لكن هذا لا يعني أن إسرائيل كانت هينوثيَّة.

الكتاب المُقدَّس: توحيدي منذ البداية

بافتراض هذا الإطار التطوُّري، تحدَّى نقَّاد القرن التاسع عشر فكرة كون الكتاب المُقدَّس ثابتًا على مبدأ الإيمان بإله واحد. كان يوجد جدال مستمر بشأن وقت ظهور الإيمان بإله واحد في إسرائيل. قال الأكثر تحفُّظًا من بين هؤلاء النقَّاد إن هناك تلميحات إلى ذلك في زمن إبراهيم. وقال آخرون إن التوحيد لم يبدأ إلَّا في عهد موسى. حتى أن البعض رفضوا فكرة أن موسى كان مؤمنًا بإله واحد، فقالوا إن التوحيد لم يبدأ إلَّا في زمن الأنبياء، مثل إشعياء قرابة القرن الثامن قبل الميلاد. وكان البعض أكثر تشكُّكًا، بحجَّة أن التوحيد لم يبدأ إلَّا بعد سبي الإسرائيليِّين في بابل، ممَّا جعله تطوُّرًا

حديثًا في الدين اليهودي. لذلك كان على الدراسات ذات الفكر القويم أن تناضل طوال أكثر من مئة عام للدفاع عن فكرة وحدة الله في الكتاب المُقدَّس.

يؤكِّد العلم القويم أن التوحيد كان موجودًا منذ بداية التاريخ الكتابي ذاته. نقرأ في أول آية من الكتاب المُقدَّس: «**فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**». تؤكِّد قصة الخلق أن الله الذي تم تقديمه في الصفحة الأولى من أسفار موسى الخمسة هو الملك على الخليقة بأكملها، وليس فقط على الحدود الجغرافيَّة المحدودة لإسرائيل في العهد القديم. الله متسلِّط على السماء والأرض، إذ صنعهما بحسب أمره.

غالبًا ما يلاحظ النقَّاد أنه في الفصول الأولى من الكتاب المُقدَّس، هناك تأرجح بين اسمين مختلفين لله. فمن ناحية، يُشار إلى الله باسم يهوه، ومن ناحية

أخرى، يُدعى إلوهيم. هذا الاسم - إلوهيم - لافت للنظر لأن اللاحقة، «هيم» تدل على الجمع في الاسم العبري، لذلك يمكن ترجمة اسم إلوهيم على أنه «آلهة». ولكن في حين أن لاحقة اسم إلوهيم تدل على الجمع، فإن الفعل الذي يلاحقه يظهر دائمًا يرد بصيغة المفرد. لذلك كان الكاتب يقول شيئًا لا يمكن تفسيره على أنه يعني «عدَّة الآلهة». بالإضافة إلى ذلك، كما أشرت أعلاه، فإن الله مُعلن لنا في الأصحاحات الافتتاحيَّة من سفر التكوين باعتباره الشخص الذي له السيادة على كل الأشياء. لذلك أعتقد أن أولئك الذين يعتقدون أن اسم إلوهيم يشير إلى تعدُّد الآلهة يقفزون إلى استنتاج غير صحيح.

عندما نأتي إلى قصة إعطاء الشريعة، في خروج ٢٠، نرى أن الوصيَّة الأولى التي أعطاها الله على جبل سيناء كانت تدعو بشدَّة إلى الإيمان بإله واحد. قال الله:

«**لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي**» (الآية ٣). قد يقول البعض إن هذه الآية تقدِّم دليلًا على الهينوثيَّة، لأن الله يشير إلى وجود آلهة أخرى، والوصيَّة تنص على أنه يجب على الشعب ألَّا يَدَع تلك الآلهة الأخرى تفوق؛ يجب أن يكون هو الإله الأول في حياتهم. لكن العبريَّة تشير إلى أنه عندما يقول الله «أمامي»، فإنه يقصد «في محضري». وبالطبع، حضوره موجود في كل مكان، فهو كُلِّي الوجود. لذلك عندما يقول الله: «**لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي**»، فهو في الأساس يقول إنه عندما يعبد الشخص أي شيء غيره، سواء كان ذلك الشخص يعيش في إسرائيل، أو كنعان، أو فلسطين، أو في أي مكان آخر، فإنه يقوم بعبادة الأوثان، لأنه لا يوجد سوى إله واحد. كما تُعزِّز الوصيَّة الثانية الوصيَّة الأولى بتحريمها الشامل لجميع أشكال عبادة الأوثان.

فـي موضـع لاحـق مـن أسـفار موسـى الخمسـة، نجـد بيانًـا مذهـلًا عـن التوحيـد. يظهـر فـي صيغـة «**الشـماع**» (*Shema*)، اعتـراف إسـرائيل القديـم بإيمانهـم بإلـه واحـد: «**اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ**» (تثنية ٦: ٤).

فـي الأسـفار النبويَّـة، نـرى تقريبًـا تهجُّـم لاذع بصفـة ثابتـة علـى الآلهـة الزائفـة التابعة للأديان الأخـرى. لا يُنظر إلـى هـذه الآلهـة علـى أنهـا آلهـة منافسـة، ولكـن كأوثـان عديمـة الفائـدة. فـي الواقـع، يَسْـخَر الأنبيـاء من الأشـخاص الذيـن يعبـدون الأشـجار والتماثيل وأشـياءً أخـرى صنعوها بأيديهـم، كمـا لـو أن تلـك الكتـل الخشـبيَّة يمكـن أن يسـكنها كائنـات ذكيَّـة عاقلـة. إنهـم يَسْـخَرون باسـتمرار مـن فكـرة حيويَّـة المـادة وتعـدُّد الآلهـة.

هـذه التأكيـدات علـى الإيمـان بإلـه واحـد هـي بُعـد مذهل مـن إيمـان العهـد القديـم نظـرًا لندرتهـا فـي العالـم القديـم.

فمعظم ثقافات العصور القديمة التي لدينا منها سجلَّات تاريخيَّة لم تكن ثقافات تتبنَّى مثل هذا الإيمان. جادل البعض بأن المصريِّين كانوا أول التوحيديِّين بسبب عبادتهم لإله الشمس رع، لكن هناك تفرُّدًا في التوحيد الذي استوطن عقيدة العهد القديم. لقد ترسَّخت فكرة وجود إله واحد بقوَّة في ديانة إسرائيل منذ الصفحات الأولى من العهد القديم.

إذا كان اللّه واحدًا،
كيف يمكن أن يكون ثلاثة؟

بسبب وضوح هذا التعليم بالإيمان بإله واحد تُعتبر عقيدة الثالوث مُعضلة. عندما نأتي إلى العهد الجديد، نجد الكنيسة تؤكِّد على فكرة الإيمان بإله واحد، ولكنها كذلك تعلن أن الله الآب هو الله، والله الابن هو الله، والله الروح القدس هو الله. علينا أن نفهم أن الفرق ضمن

شخص الله ليس في جوهره، ولا يُشار بذلك إلى تجزئة أو تقسيم كيان الله.

إذًا، كيف يمكننا أن نحافظ على عقيدة الإيمان بإله واحد في العهد القديم في ضوء التأكيد الكتابي الواضح للعهد الجديد على طبيعة الله الثالوثيَّة؟ كتب أوغسطينوس ذات مرَّة: «إن الجديد، أي العهد الجديد، مستتر في القديم، والقديم مُعلَن في الجديد». لنفهم كيف أصبحت عقيدة الثالوث بندًا بمثل هذه الأهميَّة في الإيمان المسيحي، نحتاج أن نرى هذا التطوُّر الذي حدث في فهم الكنيسة لطبيعة الله بناءً على الأسفار المُقدَّسة. عندما ننظر في الكتاب المُقدَّس، نرى ما نسمِّيه في اللاهوت «الإعلان التدريجي». هذه الفكرة تعني أنه بمرور الوقت، يكشف الله أكثر فأكثر خطَّته للفداء، فيعطي المزيد والمزيد من إعلانه عن نفسه عن طريق الإعلان. حقيقة وجود هذا التدرُّج في الإعلان

لا يعنـي أن مـا يعلنـه الله فـي العهـد القديـم يناقضـه بعـد ذلـك فـي العهـد الجديـد. الإعـلان التدريجـي ليـس تصحيحيًّـا، بحيـث إنَّ آخـر مـا يكشـفه الله يُصحِّـح إعلانًـا سـابقًا خاطئًـا، بـل يبنـي الإعـلان الجديـد علـى مـا كُشِـف فـي الماضـي ويتوسَّـع فيمـا أعلنـه الله.

بالتالـي، لا نـرى تعليمًـا واضحًـا عن طبيعـة الله الثالوثيَّة علـى صفحـات الكتاب المُقدَّس الأولـى، إلَّا أننا نرى بعض التلميحـات مـن وقـتٍ لآخـر فـي العهـد القديـم، ولكـن ليـس لدينـا معلومـات كاملـة عـن طبيعـة الله الثالوثيَّة. يتم الكشـف عـن ذلـك التعليـم لاحقًـا، فـي العهـد الجديـد، لـذا علينـا أن نتتبَّـع تطـوُّر هـذه العقيـدة طـوال تاريـخ الفـداء لنـرى ما يقوله الكتاب المُقدَّس عن هذه الأمور.